

وهنا لا بد لنا من وقفة لتؤكد أننا: لسنا أول من قال إن النقاد الرومانسيين المصريين تأثروا بالنقاد الإنجليز، فلقد قال بهذا كل من كتب عن النقد والشعر في العصر الحديث اعتماداً على أقوال نقادنا أنفسهم. بل لسنا أول من حاول أن يتبين قدر هذا التأثير. ولكننا نزعم أن أكثر الكاتين اكتفى بالإشارة السريعة أو الإشارات الموجزة إلى المسائل العامة. ونستثنى من ذلك ثلاثة كتب: الأول كتاب «مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر» لمحمود حامد شوكت ورجاء محمد عيد، الذي بذل بعض الجهد في تتبع التأثير. والكتاب الثاني «في نقد الشعر» لمحمود الربيعي، والكتاب الثالث باللغة الإنجليزية، لدافيد سماح، وعنوانه «أربعة نقاد مصريين»<sup>(١)</sup>. وقد بذل المؤلفان في تتبع الآثار جهداً طيباً.

وعلى الرغم من ذلك فإن لبحثنا هذا مجاله الخاص الذي يفرق بينه وبين الكتب الثلاثة السابق ذكرها ويميزه عنها، لأنه حدد هدفه بتأثير النقاد الرومانسيين الإنجليز في النقاد الرومانسيين المصريين، فاستطاع بذلك أن يمنح الموضوع من الجهد والوقت ما لم يستطع أن يمنحه من اتسعت أغراضهم وتعددت أهدافهم. ليتمكن - فيما أرجو - أن يصل إلى نتائج جديدة تضيف إلى ما وصل إليه من سبقنا، ذلك في المسائل التي كشف فيها البحث عن التشابه، وفي المسائل التي أعلن بعض السابقين أن التأثير وقع فيها دون أن يبينوا لنا أبعاد هذا التأثير.

وفي المسائل التي أوردنا الشواهد على وقوع التشابه فيها أبرزنا النصوص مما لم يفعله من كتبوا من قبلنا. ولعل تصريح د. محمود الربيعي، الذي كان من أكثر المعنيين بوجوه التأثير، بعدم الاستقصاء، شاهد كاف على ما نقول. قال د. الربيعي: «بل إنني لأذهب إلى أبعد من هذا فأقول: إن هذا الفصل لم يستقص حتى الجزء المتأثر بالرومانتيكية من نقد هؤلاء. وإنما اكتفى من ذلك بالأمثلة الدالة التي رأى أنها كافية لإثبات هذا الأثر وأبعاده. ولذلك كان المثال الواحد يغني عن عدد من الأمثلة الموجودة في نقد هؤلاء الرواد، وكانت الفكرة العامة أحياناً تغني عن سرد جزئياتها، إذا كانت هذه الجزئيات لا تحمل دلالة أو أهمية خاصة»<sup>(٢)</sup>.

بل الأمر أبعد من ذلك، فقد أهمل عمداً بعض جوانب الموضوع مثل الخيال الذي اعترف أنه أهمله فقال وهو يعدد الموضوعات التي أهملها: «ومنها أيضاً آراؤهم المفصلة في معنى الخيال الشعري التي لم يعالجها هذا الفصل إلا بالقدر الضروري الذي يخدم هدفه»<sup>(٣)</sup>.

(١) Four Egyptian Literary Critics by David Semah, Leiden 1974.

(٢) في نقد الشعر ١٣٩.

(٣) نفس المرجع.